القوى الفاعلة في رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتّاب دراسة في أفعال الكلام

د. لارا عبد الرؤوف شفاقوج*

تاريخ تقديم البحث:٧/١٠ /٢٠١٩م. تاريخ قبول البحث: ٢٧/٢/٢٠٢٠م.

ملخص

يتناول هذا البحث رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتَّاب بوصفها شكلًا من أشكال الخطاب الموجّه، ويرنو هذا البحث إلى تجلية الوجهة الإقناعية في الرسالة المبنية على الأفعال الكلامية متمثلة بالأبعاد التداولية لها، وتأكيد الفاعلية اللغوية في التراكيب المتضمنة هذه المستويات الإنجازية والمعتمدة على مبدأ القصدية وتسييق الخطاب بغية بلوغ أعلى مستوى من الحمولات الدلالية التي تعزز الخاصية الإنجازية لأفعال الكلام ومن ثَمَّ التأثيرية.

ويركن لهذه الغايات إلى قراءة تحليليَّة عميقة بصبغة تداولية تكشف النقاب عن الدلالات المساهمة في تعزيز القوة الإنجازية للخطاب بما يتوافق مع قصديّة باني الرسالة النابعة من اعتقاد صادق لمضمون رسالته وأهميّتها التوجيهيّة، وبصورة تجلّي القدرة اللغوية في إنجاح العملية التخاطبية وضمان نجاعتها.

الكلمات الدالة: التداولية، أفعال الكلام، الأفعال الإنجازية، القوة الإنجازية، التأثير، القصد، الرسائل، الكُتّاب، عبد الحميد.

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

The Effective Powers in Abd Al-Hameed Al-Katib's Letter to the Writers: A study in Speech Acts

Dr. Lara AbdAlra'ouf Shafaqoug

Abstract

This research investigates Abd Al-Hameed Al-Katib's letter which is directed to the writers as a description for guided speech. This research aims to clarify the persuasive perspective in the letter which is based on the speech verbs that are presented in the pragmatic dimensions of them.

The research aims to assure the linguistic efficiency of the included structures of the achievement levels that are dependent on the Purposefulness Principle. Also, this research aims to coordinate the speech in order to reach the highest levels of the Semantic Clues which reinforce the achievement characteristics of the speech verbs and reinforce its effectiveness.

The research is based on the purposes that focus on a deep analytical study which concentrates on an analytical method by which we can uncover the Contributing Clues in reinforcing the achievement power of the speech in a way that corresponds with the purposefulness of the speech based on the writer's honest belief of the speech and its guidance importance in order to clarify the linguistic competence in the success of speech process and to guarantee its effectiveness.

Keywords: Pragmatics, The Speech Acts, The Achievement Power, Effectiveness, Purposefulness, The Letters, Writers, Abd Al-Hameed.

المقدمة:

تعددت اتّجاهات تحليل الخطاب، فاتّكلت بعض المناهج على البنية اللغوية والعوامل الداخلية للخطاب، واتّخذت أخرى من العوامل الخارجية للخطاب أساسًا لها في التحليل، وقد عانى تحليل كلٍّ من الاتجاهين من القصور البادي في بعض جوانب التحليل، الأمر الذي حتّم على الباحثين والنقّاد إلى محاولة دمج العوامل الداخلية والعوامل الخارجية للخطاب بغية الوصول إلى تحليل شمولي تكاملي لا يُغفل أي جزئية من شأنها خدمة التحليل وتعزيز آلياته.

وقد ضلعت التداولية في هذا الدّرس بِنظرها للخطاب الأدبي على أنّه مقاصديّ ومسيّق، فأتاحت التداولية لتحليل الخطاب منهجية لسانية جديدة حيث عرّت القوى الفاعلة التي تتظافر لإخراج الخطاب بصورته النهائية وبدلالته الكليّة التي ما هي إلا انعكاس لقصد باني الخطاب، القصد الحقيقي من الخطاب الأدبي بشكل عام هو توجيه المتلقي إلى فعل ما أو تركه، فبرزت أفعال الكلام التي تمثل الوجهة الداخلية للخطاب – ولا سيما الخطاب الموجّه– عند كثير من المشتغلين بتحليل الخطاب، فنرى أنّ فرناند هالين Fernand Hallyn قد خصّص فصلًا من كتابه: التداولية للنظر في النص الأدبي بوصفه عملًا لغويًا، أما دومينيك مانغونو D. Mangono فقد جعل أول مصطلح من كتابه: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: الفعل اللغوي(١)، الذي أسماه أيضا بالفعل الكلامي وفعل الخطاب.

وبما أنّ اللغة تعبير والرسائل شكل كتابي من أشكال هذا التعبير وقع الاختيار لهذه الرسالة– رسالة عبد الحميد للكتّاب– بوصفها خطابًا منجزًا وفق قصدية تداولية محدَّدة موجّهة لفئة مخصوصة وضمن سياق ثقافي معيّن، وعليه تناول هذا البحث الأفعال الكلامية في رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتّاب، ويرمي للكشف عن القيم التداولية التي تحملها المكونات التركيبية للرسالة، المتضمنة للأفعال الكلامية الداعمة للغايات التوجيهية ومن ثَمّ الإقناعية.

ولأن أفعال الكلام هي المحرّك الفاعل للقوى الإقناعية والتأثيرية في الخطاب كان البحث فيها وبيان دورها في إنجاح الغاية التوجيهية للخطاب– في رسالة عبد الحميد الكاتب– عتبة مهمّة من عتبات تحليل الخطاب بما تنضوي عليه من التشكلات التركيبية والتنوعات الوظيفية والدلالية للجمل والعبارات بشكل يعزز القوى الإنجازية للخطاب ويضمن تأثيره في المتلقي؛ وعلى ذلك قام هذا البحث.

(١) ينظر مانغونو، دومينيك، (١٤٢٨هـ– ٢٠٠٨م)، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، ط١، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون/ منشورات الاختلاف– الجزائر، ص ٧.

توطئة

تعددت مناهج تحليل الخطاب[١]، وكان كل منهج يُبنى على سابقه فيحاول تصويب عثراته أو تطوير أدواته وفرضياته سعيًا للوصول إلى منهج تكاملي لا يستثني ركنًا من أركان الخطاب ولا متعلَّقًا من متعلَّقاته، وقد بدت العناية بدراسة الخطاب بأبعاده الاستعمالية/ التداولية عند رواد مدرسة أكسفورد التي تتبنى الفلسفة التحليلية في غالبية منتسبيها، وهي معروفة باتجاهها الشعوري المتزايد نحو اللغة، إذ تعترف بدور اللغة الفعال في الفلسفة خاصة وفي الحياة بشكل عام[٢].

يعود مصطلح التداولية Pragmatics بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس Charles Morris الّذي عدّه أحد الفروع الثّلاثة المكوِّنة لعلم العلامات أو السيميائية Semiotics، وهذه الفروع هي:

- علم التراكيب Syntaxيعنى بالتراكيب، ويبيِّن علاقات العلامات بعضها مع بعض.
- علم الدلالةSemantics: يدرس علاقة العلامات بما تدل عليها (بدلالاتها).
- التداوليةPragmatics: تهتم بدراسة علاقة اللغة بمستعمليها[٣].

والتداولية هي "دراسة استعمال اللغة في الخطاب"[٤]؛ وعليه فقد ألحّت التداولية علىمراعاة قصد المتكلم، فعندهم "أنّ كل سلوك لفظي موجّه نحو غاية إلا أنّ الغايات تتنوع"[٥] وحال المخاطَب، ومستواهما الاجتماعي والبنية الثقافية لهما، كما اهتمت بسياقات الخطاب، "فالخطاب دائما موجّه للغير ويقتضي السياق والمقام وبتحدُّد السياقات والمقامات تتحدَّد أنماط الخطاب؛ فكما تختلف الموضوعات التي ينصبّ عليها الخطاب مثلما تختلف السياقات التي تكتنفه"[٦].

(١) عبد الرحمن، طه، (١٩٩٨م)، اللسان والميزان – التكوثر العقلي، ط١، المركز الثقافي العربي– الدار البيضاء، ص٢١٥.

(٢) انظر عبد الحق، صالح إسماعيل، (١٩٩٣م)، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر– بيروت، ص٦–٧.

(٣) انظر نحلة، محمود أحمد، (٢٠٠٢م)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ص ٩، العبد، محمد، (١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م)، النص والخطاب والاتصال، ط١، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي– القاهرة، ص٣٥.

(٤) صحراوي، مسعود، (٢٠٠٥م)، التداولية عند علماء العرب (دراسة تداولية لأفعال الكلام في التراث اللساني العربي)، ط١، دار طليعة– بيروت، ص ٢٨.

(٥) ياكبسون، رومان، (١٩٨٨م)، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنوز، ط١، دار توبقال– الدار البيضاء، ص٢٥.

(٦) الجودي، لطفي فكري محمد، (٢٠١٤م)، جمالية الخطاب في النص القرآني (قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين)، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع– القاهرة ١٠٣.

اشتملت التداولية على نظريات عدة– مثل نظرية السياق ونظرية التلقي– ومبادئ كثيرة–مثل مبدأ التعاون عند غرايس Grice ومبدأ التأدُّب عند لايكوف Lakoff، وقد كانت نظرية أفعال الكلام حاضرة بقوة في تصنيف الوظائف اللغوية الدلالية للألفاظ والتراكيب، وفي تحليل العديد من أنواع الخطاب ولا سيما الخطاب الموجّه، مثل: الخطاب السياسي والخطاب القانوني والخطاب الديني والخطاب التعليمي. وتتبع نظرية الأفعال الكلامية من رؤية فتنغشتاين L. Wittgenshtein ومن بعده أوستين John Austin وسيرل John Searle، بأنّ "هناك أنواعًا لا تحصى من الجمل تتمثل في استعمالات منوعة للغة، منها إصدار الأوامر ووصف الأشياء الموجودة في العالم الخارجي، وصياغة الفروض وتأليف القصص والنكات والتساؤل، والسبّ والترحيب والتوسل إلخ"(١). وسنتطرق إلى هذه النظرية التي يقوم عليها البحث في تحليله رسالة عبد الحميد بشيء من التفصيل.

وبحسب مقاصد الخطاب تأتي وظائف الكلام هذه وعليها يعتمد في تحقيق الغاية، وعليه ينبغي مراعاة الأساليب الفنية والبلاغية لمساندة هذه الوظائف القصدية، "يرى ليتش أنّ البلاغة تداولية في صميمها؛ إذ إنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلّان إشكالية علاقتهما مستخدمَين وسائل محدَّدة للتأثير على بعضهما"(٢)، وهذه الممارسة تجعل "البلاغة والتداولية البراجماتية تتفقان في اعتمادهما اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي على أساس أن النصّ اللغوي في جملته إنما هو نصّ في موقف"(٣).

أفعال الكلام Speech acts :

أفعال الكلام مفهوم بدأت ملامحه عند فتنغشتاين L. Wittgenshtein الذي ألمح إليها تحت مسمى ألعاب اللغة بكشفه عن استعمالات متباينة للغة(٤)، وتتلخص رؤيته في أنّ "كلّ ما يقال يعتبر حدثًا مهما كانت اللغة التي يقال فيها"(٥)، إذ يرتبط ارتباطًا وثيقًا بممارسات الحياة التي نعيشها والتي لا تخلو من التواصل مع الآخرين، وعليه فإن اللغة لعبة اجتماعية مؤثّرة بين متداولي اللغة، وقد ركز الفيلسوف البريطاني جون أوستين John Austin، ومن بعده تلميذه جون سيرل John Searle على هذه الفكرة، فتبلورت هذه النظرية على يد أوستين، إذ "لم تعد الملفوظات بالنسبة إلى أوستين مجرد لغة

(١) عبد الحق، صالح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص ٥٧.

(٢) فضل، صلاح، (١٩٩٢م)، بلاغة الخطاب وعلم النّصّ، سلسلة عالم المعرفة– الكويت، ص ٨٩، وبحيري، سعيد، (٢٠٠٤م)، علم النّص المفاهيم والاتجاهات، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع– القاهرة، ص ٢٣.

(٣) فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النّصّ، ص ٨٩.

(٤) انظر عبد الحق، صالح، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص ١٣٦.

(٥) فتنغشتاين، لودفيك، (٢٠٠٧م)، تحقيقات فلسفية، ترجمة عبد الرّزّاق بنور، المنظمة العربية للترجمة– بيروت، ص ٢٢.

تضيق مساحتها ما بين مفهومي الكذب والصدق، وإنما هي أفعال تعكس أنماطًا من النشاطات الاجتماعية والسياسية بغية التأثير، وما عادت الجمل بالنسبة إليه إخباريّة محضة، وإنما لها دور إنجازي من خلال أفعالها"[١]؛ لذا كان التركيز في أفعال الكلام على الجمل الإنشائية مع إيلاء الجمل الخبرية بعض الاهتمام أيضًا وقد أوردها أوستن تحت مصطلح الإيقاعيات، وهي أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء[٢].

إنّ جوهر نظرية الأفعال الكلامية هو أن التَّكلُّم بكلمة ما هو فعل[٣]، يؤثر في أفعال المخاطبين وسلوكهم وأفكارهم وآرائهم ومعتقداتهم ومشاعرهم.وقد عمد أوستينمن خلال دراسته لأنواع الجمل ودلالاتها إلى تصنيف أفعال الكلام، على النحو الآتي [٤]:

- الفعل اللفظي Locutionary act: وهذا الفعل لا ينعقد الكلام إلا به[٥]، وهو عبارة عن السلسلة الكلامية المنتَجة، يمثله أي لفظ أو تركيب لغوي أو نصّ خطاب.
- الفعل الإنجازي Illocutionary act: هو الفعل الذي يحمل دلالة مرتبطة قصديًّا بإنجاز فعل معين أو معاملة ما، أي أنه الكلام، جملة كان أم خطابًا– الذي يُقصَد به أن يؤدي إلى إنجاز فعل ما عند متلقيه، سواء أكان هذا الفعل وجدانيًّا أم سلوكيًّا أم قوليًّا.
- الفعل التأثيري Perlocutionary act: هو ردُّ فعل الفعل الإنجازي التواصلي؛ أي التأثيرفي نفس المتلقي الذي قد يظهر في تعبيراته أو كلامه أو أفعاله، وهو عند سيرل الفعل الذي ينتجه المتكلم أثناء التلفّظ بالكلام كالحثِّ أو الإقناع أو التعبئة وغيرها[٦].

(١) كليب، سامي، (٢٠١٧م)، البراغماتية (القول فعلية) في تحليل أفعال الخطاب السياسي– خطاب ترامب والملك سليمان نموذجًا، ط١، دار الفارابي، ص ١٤٥.

(٢) ينظر المبخوت، شكري، (٢٠١٠م)، دائرة الأعمال اللغوية– مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديدة المتحدة– بيروت، ص١٢٤.

(٣) ينظر أوستن، جزن، (١٩٩١م)، نظرية أفعال الكلام (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، ترجمة عبد القادر قنيني، دار توبقال– الدار البيضاء، ص ٢٥، والمبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية، ص ٩.

(٤) ينظر أوستن، جون، نظرية أفعال الكلام، ص١١٦– ١١٧، وصحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص٤٠، والشهري، عبد الهادي ظافر، (٢٠٠٤م)، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ط١، دار الكتاب العربي– بيروت، ص٧٥، روبول وموشلار، بول وجاك، (٢٠٠٣م)، التداولية اليوم– علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة– دار الطليعة للطباعة والنشر– بيروت، ص ٣١– ٣٢.

(٥) ينظر نحلة، محمود، آفاق الدرس اللغوي، ص ٦٩، روبول وموشلار، بول وجاك، التداولية اليوم، ص ٣١– ٣٢.

(٦) ينظر كليب، سامي، البراغماتية القولفعلية، ص ١٤٦.

وقد "أصبح مفهوم الفعل الكلاميSpeech act نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلًا عن ذلك يعدّ نشاطاً ماديًّا نحويًّا يتوسل أفعالًا قولية Locutoires actes لتحقيق أغراض إنجازية Actesillocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد... إلخ) وغايات تأثيرية Perlocuriores actes تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو يطمع إلى أن يكون فعلًا تأثيريًّا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيًّا أو مؤسساتيًّا ومن ثم إنجاز شيء ما"(١).

وفي حين قيام سيرل بإضافة فعل رابع على هذه الثلاثة هو الفعل القضوي(٢)، الذي يحمل قضية معينة لها أبعادها القصدية- والحقّ إنّ الفعل الإنجازي هو فعل قضوي؛ لأنه يحمل قضية إنجازية مقصودة، توسع فان ديكفكان "الفعل الكلامي الأكبر عند فان ديك هو فعل الكلام الإجمالي الذي يؤديه منطوق الخطاب الكلي الذي تنجزه سلسلة من الأفعال الكلامية المختلفة"(٣)، أي أنه بكليته يحمل دلالة إنجازية متكاملة على نحو ما كانت عليه رسالة عبد الحميد إلى الكتّاب.

يكمن أهم جانب في نظرية أفعال الكلام في فئاته الخمس التي تساهم في تمكين المتلقّي من تحليل الخطاب، ومعرفة غاياته الخطابية التواصليَّة المرتكزة على قصدية المتكلّم، وعليها تكون نتائج التأثير والتفاعل بين المتكلم والمتلقّي، وهذ الفئات هي(٤):

١. التقريريات (الإخباريات) (Assertives): وهي تقابل الجمل الخبرية في العربية، وغرضها الإنجازي وصف المتكلم أمرًا له تقرير اعتقادي أو واقع خارجي (يحكم على هذه الجمل -غالبًا- بالصدق أو الكذب وهي في غالبها تمثل فعل القول، وعلى الرغم من أن الغاية في هذه الفئة غالبًا ما تكون إخبارية أو إفهامية إلا أنه لا يُنكر قدرتها الإنجازية في كثير من الأحيان بما تقتضيه قصدية المتكلم والمقام الخاص للسياق. ومثال الإخباريات من رسالة عبد الحميد- والأمثلة عليها كثير-: "فإنّ الله تعالى جعل الناس من بعد الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم جميعا، وبعد

(١) صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص ٤٠، وأوستين، جون، نظرية أفعال الكلام، ص ١٦، روبول وموشلار، بول وجاك، التداولية اليوم، ص ٣١- ٣٢.

(٢) ينظر بحيري، سعيد، (٢٠٠٩م)، مبادئ ومسارات في الدرس اللغوي الحديث (فصول مختارة)، دار زهراء الشرق- القاهرة، ص ٢٢٢.

(٣) العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص ٢٨٢، وينظر المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية، ص ١٠.

(٤) هذه الفئات من وضع سيرل، ينظر، نحلة، محمود، آفاق جديدة في الدرس اللغوي، ص ٤٦، ٤٩ – ٥١، بلانشيه، فيليب، (٢٠٠٧م)، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع- اللاذقية/ سوريا، ص٦٦، والمبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية، ص ١٢٤، بحيري، سعيد، مبادئ ومسارات في الدرس اللغوي الحديث، ص ٢٢٧- ٢٢٨.

الملوك المكرّمين شرفا، وصرّفهم في صنوف الصناعات التي منها سبب معاشهم"[١]، وأيضًا قوله: "بكم ينتظم الملك، وبتدبيركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم"[٢].

٢. التوجيهات (Directives): (الأمريات/ الإنفاذيات) وتسعى إلى توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، يدخل فيه الأمر (الطلب) الأمر، النهي والنصح، وأكثر ما تمثلها الجمل الطلبية –المباشرة وغير المباشرة– في اللغة العربية، ومثاله قول عبد الحميد في رسالته: "وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته إليه أحدب وأحوط منه على أخيه وولده" [٣]، ومنه "واحذروا متالف السّرف وسوء عاقبة التّرف"[٤]، هذا في الأمر/ الطلب، أما ما يمثلها في النّهي فقوله: "ولا يجوزنّ الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر صناعته"[٥].

٣. الالتزاميات (الوعديَّات) (Commissives): وتختلف عن السابقة بأنها موجّهة من المتكلِّم إلى نفسه، غرضها التزام المتكلم بفعل شيء ما مثل: الوعد والإقرار والقسم، ولعل المثال الأوضح هنا ما ختم به عبد الحميد رسالته بإقرار منه بتوجيه الرسالة لنفسه قبل توجيهها للكتّاب وتأكيده ضرورة التزامه بمضامينها.

٤. التعبيرات (البوحيّات) (Expressires): تسميها الباحثة اللغوية فرانسواز أرمانغو بالسلوكيّة؛ لأنها تتعلق بردّ فعل على تصرفات الآخرين أو على الأحداث المرتبطة بهم[٦]، وتهدف البوحيّات إلى التعبير عن الموقف النفسي (الوجداني) نحو: الشعر – والتهنئة – والاعتذار – والمواساة– المدح والذّمّ، وهي ترتبط عادة بالعلاقات الاجتماعية والسلوكيّات العامة، والشرط المعدُّ لأغلب البوحيَّات هو تحقُّق المحتوى سلفًا، إذ إنّ المتكلم إنما يعبِّر عن حالته النفسية أو الشعورية تجاه واقعة

(١) عباس، إحسان، (١٩٨٨م)، عبد الحميد الكاتب– وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع– عمان، ص ٢٨١.

(٢) السابق نفسه، ص ٢٨١.

(٣) السابق نفسه، ص ٢٨٤.

(٤) السابق نفسه، ص ٢٨٦.

(٥) السابق نفسه، ص ٢٨٦.

(٦) كليب، سامي، البراغماتية القول فعلية، ص ١٤٨.

متحققة فعليًّا[١] أو يتوقع حدوثها بناء على معطيات حاصلة، مثل التعجب والتمني والترجي والدعاء للشخص بخير أو شرّ.

ومثالها من الدعاء لهم قوله: "فأمتعكم الله بما خصّكم من فضل صناعتكم، ولا نزع عنكم سربال النعمة عليكم"[٢]، وقد استعمل أسلوب المدح الصريح في قوله: "وابذلوا وفّقكم الله ذلك من أنفسكم في الرخاء والشدة، والإحسان والإساءة، ...، فنعمة هذه السمة لمن يوسم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة"[٣]، أما أساليب المدح التي جاءت بطرق غير مباشرة فكثيرة، سيجليها هذا البحث.

٥. العرضيّات (الإعلانيّات) (Declarations): وهي الأفعال التي تستعمل للعرض (عرض المفاهيم) والإعلان (الترويج)، والتوضيح والاعتراض أو تقديم ذرائع وحجج وغيرها. ومثال التوضيح وارد في أكثر الرسالة، نحو قوله: "فليقصد الرجل منكم في مجلس تدبيره قصد الكافي في منطقه، وليقصد في كلامه، وليوجز في ابتدائه، وليأخذ بمجامع حججه، فإنّ ذلك مصلحة لعقله، ومحجّة لذهنه، ومدفعة للتشاغل عن إكثاره"[٤]، إذ سرد توضيحات تشجيعيّة لأفعاله الأمرية، وما هذه التوضيحات إلا نتائج منطقية تحفز على إنجاز المطلوب، وكان لأسلوب عرضه سمة فنيّة تعطي لعباراته قوة إنجازية إضافية، فتقرأ بطريقتين: الأولى جعل التوضيحات كلها نتيجة للالتزام بكل ما طُلب إنجازه، وهذا ظاهر النصّ، ويمكن أن نقرن كل نتيجة بفعلها الكلاميّ، على النحو الآتي:

- فليقصد الرجل منكم في مجلس تدبيره قصد الكافي في منطقه = فإنّ ذلك مصلحة لعقله.
- وليوجز في ابتدائه = مدفعة للتشاغل عن إكثاره.
- ليأخذ بمجامع حججه = محجّة لذهنه.

ومن أمثلة الترويج قوله: "وليس أحد من أهل الصناعات كلّها أحوج إلى استخراج خلال الخير المحمودة، وخصال الفضل المذكورة والمعدودة منكم"[٥].

(١) ينظر الطبطبائي، طالب سيد هاشم، (١٩٩٤م)، نظرية الأفعال الكلامية (بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب)، مطبوعات جامعة الكويت- الكويت، ص ٣٢- ٣٣.

(٢) عباس، إحسان، عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص ٢٨٢.

(٣) السابق نفسه، ص ٢٨٤.

(٤) السابق نفسه، ص ٢٨٧.

(٥) السابق نفسه، ص ٢٨٢.

العوامل المعززة للعملية الإنجازية في الخطاب الموجّه:

ثمة عوامل مهمة في تحقيق غايات الخطاب الموجَّه وتفعيل طاقاته الإنجازية بعضها يرجع إلى عوامل داخلية تتمثل في السياق اللغوي والكفاية اللغوية والمهارة الفنيّة الأدبيّة، وعوامل خارجة عن الخطاب مثل السياق المقاميّ والسياق الاجتماعي والسياق الثقافي وغيرها، مع أهمية مراعاة هذه الأبعاد في الفئة التي يوجَّه إليها الخطاب، والقارئ في رسالة عبد الحميد يجد أنه لم يُغفل أيًّا من هذه العوامل في رسالته الموجّهة، ولعلّنا نستعرض أبرز ملامح الأسلوب الذي اتّبعه عبد الحميد في النقاط الآتية:

١- إدراك المتكلم قصده في الخطاب وتحديد غايته منه، وعليه ينبغي ألا تتداخل القصود بشكل يؤدي إلى الإلباس على المتلقي أو عرقلة العملية الإنجازية، ومن جانب آخر على المتكلم بشكل عام والباني للخطاب الموجه بشكل خاص أن يعتقد ما يقول ويشعر بما يعبِّر عنه، يقول أوستين: "إن النطق بالعبارة ينبغي – في الأصل – أن يستلزم اعتقادها – فإن قول القائل: (القط فوق الحصير) يستلزم (أعتقد أن القط فوق الحصير)"(١). وكما قال الشاعر:

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَهُ عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ(٢)

وجوهر البلاغة تمكين ما في نفس المتكلّم في نفس المتلقِّي(٣)، وهو ما خيم على الرسالة كلها، إذ يدرك القارئ للرسالة أن كل كلمة قد خرجت من قلب واعٍ وفؤاد معتقِد، وقد وجّه عبدالحميد الكلام لنفسه في آخر الرسالة مشدِّدًا على ضرورة الالتزام بما وجهه للكتَّاب، أنّ "الألفاظ إنما يترتب عليها موحياتها لقصد اللافظ بها"(٤).

٢- تعيين الفئة التي يراد توجيه الخطاب لها، وقد حدد عبد الحميد هذه الفئة فخصَّصها للكتَّاب فتوجه إليهم بشكل في رسالته بكليتها باستعمال الضمائر العائدة إليهم أو مناداتهم: "معشر الكتّاب". ولايخفى دور تعين فئة المتلقين ونعرفة مستواهم المعرفي والثقافي والاجتماعي في

(١) المبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية، ص ٩٢.

(٢) السُّكّريّ (٢٧٥هـ)، أبو سعيد الحسن، (١٩٩٨م- ١٤١٨هـ)، ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط٢، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ص ٤٠٤.

(٣) قال العسكريّ: "البلاغة كلّ ما تبلّغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن" العسكريّ (٣٩٥هـ)، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، الصناعتين، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- بيروت، ص ١٠.

(٤) ابن القيم (٧٥١هـ)، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، قدم له وعلّق عليه مشهور بن حسن وأحمد عبد الله، ط١، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- الرياض،٤/٤٣١.

إنجاح غايات الخطاب لأنه وفق هذا التحديد يكون المستوى اللغوي والخطابي، وتتضح عند المتكلم مدارج الخطاب وطبقاته فيغدو تشكيل الخطاب أوضح رؤية وأنظم مسلكًا، و"في تداولية أفعال الكلام كان توليد قوة المنطوق الإنجازية مظهرًا من مظاهر الاختلاف بين اثنين من مؤسسيها وهما: أوستن وسيرل، يرى أوستن أن قوة المنطوق الإنجازية تحقيق لمقصد المتكلم تحقيقًا ناجحًا، ولكن سيرل يرى أن القوة حاصل تفسير المستمع للمنطوق"(١).

٣- وضوح الكلام الذي يتضمن الأفعال الإنجازية لفظًا ودلالة، بأن يكون الفعل الإنجازي مفهومًا ومعلومًا للمتلقي، وهذا معيار البلاغة، إذ "لايكون البليغ بليغًا حتى يكون معنى كلامه أسبق إلى فهمك من لفظه إلى سمعك"(٢)، وقد خلت رسالة عبد الحميد من التقعّر والتكلُّف في الكلام مع رصانة الألفاظ المختارة وقوتها الدلالية، وقد جاء الكلام متَّسقًا منسجمًا متماسكًا في سياقه اللغوي التركيبيّ، وهو أمر يؤثّر في الفعل الإنجازي بقوة؛ وذلك أن "قوة فعل الكلام التلفظية وقوته الخطابية تنتجان معًا قوته التداولية"(٣).

وعلى المتكلم أن يكون دقيقًا في انتقاء ألفاظه عند التلفظ بالفعل الإنجازي، وذلك لأنّ "كلّ لفظه في للغة تشير إلى شيء"(٤) ما له غايته الإنجازية أو له قيمته التي تدعم الغاية الإنجازية وقصد المتكلم، وكما قال فان ديك: "اختيارنا للألفاظ هو اختيار للمعاني والدّلالات"(٥)، ومن ذلكما تفيده المراوحة بين هذه الأساليب–بحسب الغاية– بتعزيز القوة الإنجازية أو تلطيفها، فقولك: ادرس، يختلف عن قولك: لو أنك تدرس. أو أمر الشخص بصيغة السؤال، فتقول: هل تصنع لي طعامًا عوضًا عن أن تأمر مباشرة فتقول: اصنع لي طعامًا، ويؤكّد والتداوليون عمومًا على "أنّ الأمر الملحق بسؤال من وسيلة من وسائل تلطيف قوة الأمر المباشر أو الالتماس الخشن"(٦)، وزبدة القول هنا إنّ المقاربة التداولية للخطاب الأدبي تكتسي بصبغة قصدية تتحكم في البنى الأسلوبية القائمة على البناء التركيبي للخطاب بما يخدم القيم التداولية والأهداف التبليغية.

(١) العبد، محمد، النص والخطاب والإجراء، ص ٢٩٠.

(٢) الماوردي (٤٥٠هـ)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق محمد كريم راجح، ط٤، دار اقرأ- بيروت، ص ٢٩٠.

(٣) ليتش، جيوفري، (٢٠١٣م)، مبادئ التداولية، ترجمة عبد القادر قنيني- أفريقيا الشرق- الدار البيضاء، ص ٢٨.

(٤) فتغنشتاين، لودفيك، تحقيقات فلسفية، ص ١٢٧.

(٥) ديك، فان، (٢٠٠٠م)، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ترجمة عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق- الدار البيضاء، ص ٢٥.

(٦) العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص٣٣٣.

دور القوى الفعلية في المنحى التوجيهي في الرسالة:

يتضمن الخطاب التوجيهي عادة حمولة إقناعية، بل يعدّ الإقناع فيه استراتيجية مهمة، فالإنسان مهما وُجِّه لأمر لايقتنع به لن يحرِّك فيه شيئا، وسيكون المتكلم كمن يزرع في الصحراء أو كمن يسقي صخرًا صلدًا ويرجو إنباته، وعليه ينبغي لصاحب الخطاب أن يدرك مدى قابلية المتلقي لخطابه ومضامينه؛ الأمر الذي يحتم عليه حشد طاقاته اللغوية في تأليف خطابه وعرضه. وفي المبحث الآتي سنسلط الضوء على الأشكال الاستعمالية لأفعال الكلام التي استثمرها عبد الحميد واتّكأ عليها في غايته التوجيهية الإقناعية.

استثمار أفعال الكلام في التركيز على الجانبين الوجداني والإدراكي عند المتلقي: استهلّ عبد الحميد الكاتب رسالته "أما بعدُ، حفِظكمُ الله يا أهلَ هذه الصناعة، وحاطكم ووفقكمْ وأرشدكمْ"[١] ويقصد في هذا إلى أمرين:

- أولًا محاولة استمالة قلوب المتلقين بها –والاستمالة من أقوى العناصر الفاعلة في الخطاب التوجيهي–؛ فقد خصّهم بدعواته بالحفظ والإحاطة والتوفيق والرشاد، وهي دعوات لأمور لازمة لكل عمل، ولا سيما الكتّاب الذين يحتاجون توفيق الله والحفظ من الخطأ والزلل والهفوات، فهي بوحيات (تعبيريات) مقصودة في ظاهر معناها.
- ويلمح وراء هذه الدعوات معنى باطن إذ فيها دلالة على أهمية هذه الوظيفة وخطورتها وحاجة القائم بها لرعاية ربانية؛ وفي هذا ترويج لعظم شأن المهنة وأنها تحتاج فيمن يتصدّى لها أن يكون على قدرها بعد تسديد الله، ومن هنا يمكن لهذه التعبيريات أن تؤدي دور العرضيات في الوقت نفسه.

يتابع عبد الحميد كلامه بتصنيف الناس بحسب مهنهم ليلج من هذا التصنيف لبيان مكانة هذه المهنة وصفات الممتهنين بها: "فإن الله جلَّ وعزَّ، جعل الناسَ بعد الأنبياءِ والمرسلينَ – صلواتُ الله عليهم أجمعين – ومن بعدِ الملوكِ المُكَرَّمينَ سُوَقا، وصرَّفهم في صنوفِ الصناعاتِ التي سبَّب منها معَايشهم، فجعلكم معشر الكتّاب في أشرفِها صناعة، أهلَ الأدبِ والمروءةِ والحِلمِ والرَّوِيَّة، وذوي الأخطار والهممِ وسَعَةَ الذَّرْعِ في الإفضال والصِّلة"[٢].

(١) عباس، إحسان، عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص٢٨١.

(٢) السابق نفسه، ص٢٨١.

وهو هنا يستعين بالمدح لتوجيه الصورة الذهنية عند المتلقي عن الصفات الواجب تحلي الكتَّاب بها قبل الإقدام على هذه المهنة المهمة في الدولة.

تفيد التعبيريات في كلامه إلى ثلاثة أغراض:

- المدح وهو شكل من التعبيريات، ويلحظ أنّ عبد الحميد بالغ في مدحه هنا، يلحظ هذا في:

أ- تخَيَره الألفاظ بصيغ دالة على المبالغة نحو: اسم التفضيل (أشرف) في قوله: "أشرفها صناعة"

ب-استعمال التركيب الإضافي لكلمات ذات دلالة عالية على الحالة، نحو قوله: "أهل الأدب والمروءة" و "ذوي الأخطار والهمم الواسعة"، وفي هذا اختصاص لهم دون غيرهم بهذه الصفات فهم أهلها وذووها، فهم لا غيرهم من يتصفون بها.

ج- عرض هذه الصفات على صيغة المصدر لا المشتقات: (الأدب والمروءة والحِلم والروية الأخطار والهمم ...إلخ)، وفي هذا ما فيه من المبالغة في الصفة من جانب ومن جانب آخر هذا يتواءم مع التركيب العام للعبارات فقد أضاف هذه الصفات إلى كلمتي (أهل وذوي) وفيه إشارة أن الأصل الصفة ينبغي أن تكون فيهم.

- الترويج: لا يظهر في عبارة محدَّدة وإنما في الدلالة الكلية للنص السابق، إذ إنه بهذا الحشد في الصفات والإغراق في المدح يروّج لجلالة الكاتب وعظيم صفاته، فيحبب النفس للارتقاء في هذه المدارج والإقبال على هذه المهنة.

- الإلزام: أيضا يظهر في الدلالة الكلية في النص لكنها دلالة موجَّهة للكتَّاب الذين يمارسون الكتابة بالفعل لتلزمهم التحلي بهذا الصفات، أو لتذكرهم بمراجعة أنفسهم بها.

يعمد عبد الحميد لتحفيز الكتّاب على التحلي بهذه الصفات إلى الجمل الخبرية/ التقريرية التي توضح جلالة المهنة: "بكم ينتظم الملكُ، وتستقيمُ للملوكِ أمورُهم، وبتدبيرِكم وسياستِكم يُصلحُ اللهُ سلطانَهم ويجتَمعُ فيئهم ، وتعمرُ بلادُهم، يحتاجُ إليكمُ الملكُ في عظيمِ مُلكِه، والوالي في القدر السَّنِيِّ والدنيِّ من وِلايتِه، لا يستغْنِي عنكم منهم أحد، ولا يوجدُ كافٍ إلا منكم ، فموقعُكم منهم موقعُ أسماعِهمُ التي بها يسمعون، وأبصارِهمُ التي بها يُبصرون، وألسنتِهمُ التي بها ينطِقون، وأيديهمُ التي بها يَبْطِشون، أنتم إذا آلتِ الأمورُ إلى مَوئِلها وصارت إلى محاصِلِها، ثقاتُهم دونَ أهليهِم وأولادِهم وقراباتِهم ونُصَحائِهم"(١)

(١) عباس، إحسان، عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص٢٨١-٢٨٢.

وهو بهذا التكثيف الوصفي الذي اكتسى بثوب المدح المبالغ فيه يطرق إدراك المتلقي ووجدانه فيحثّه إلى الإنصات والتوجه بكامل الإقبال على كلامه، وهو إذ يورد هذا كله بصيغة التقريريات إلا أنه يشمّه بالعرضيات وكأنه يروّج لأهمية المهنة وخطورتها معًا– وذلك عن الطريق الحشد الدلالي الذي ينحو به منحى تصاعديًّا تدرجيًّا:

- إذ يبين دورهم العظيم في تنظيم الملك وسياسة السلطان وعمران البلاد بجمل خبرية يعمق الفكرة بالتنوعات التركيبية فيها: فقوله: "بكم ينتظم الملكُ، وتستقيمُ للملوكِ أمورُهم..." في هذا التركيب يقدّم متعلق الفعل وهو الجار والمجرور "بكم" ليؤكد بتقديم الضمير العائد على الكتَّاب تخصيصهم بهذه الأعمال المهمة دون سواهم، اتبع هذا الأسلوب في غير موضع: "ولا يستغني عنكم منهم أحد" وقوله: "وأنتم... ثقاتهم..".

ومثله في الدلالة ما فعله بتقديم متعلق الفعل تستقيم "للملوك" فلم يقل: تستقيم أمور الملوك، ولم يقل: تستقيم الأمور للملوك، في دلالة على أنكم أنتم أيها الكتاب من تعملون على استقامة أمور الملوك.

- ثم جعلهم حواس السلطان (السمع والبصر والكلام والأيدي)، بما يقومون به من وظائف موكلة إليهم لا يعتمد الملك على غيرهم في تنفيذها وكأنه حين يوكلها إليهم قد فعلها بجوارحه.. فيحوزون ثقته.
- وعندها تتحصل ثقة السلطان بهم ليصيروا أقرب من أهله وأولاده وأصدقائه، وهنا ينتقلون من العلاقة بين رئيس ومرؤوس إلى القُربى والخلّة.

درجات الكتَّاب عند الملوك والسلاطين:

يلاحظ في هذا السُّلم الدلالي البعد الحجاجي للوجهة الإقناعية عند عبد الحميد، الذي جمع هذه التأليفات الحجاجية المبنية على إناطة كل فعل بمسبباته وبنتيجته المنطقية، مع تعميق العلاقات التلازمية بينها جميعا بمنحى تدريجي ينقل من خلاله المتلقي من مرحلة إنجازية إلى مرحلة أقوى وأشدّ خطورة للوصول به للغاية العظمى وهي حيازة ثقة السلطان ومن ثَمّ قربه وخُلّته؛ وكأنه يستثمر خبراته في إخبارهم عن الكيفية التي وصل بها لهذه المكانة من الخليفة.

وبهذا التضخيم في بيان قيمة المهنة ومكانة الكتّاب– إذ لكل درجة من الفضل ما فيها ومن شرف القرب من الملوك ما أبانه – يعود للبوحيّات، فقوله: "فأمْتعَكُمُ اللهُ بما خصَّكمْ من فضل صناعتِكم، ولا نزعَ عنكمْ سِرْبالَ النعمةِ عليكم"(١)؛ بغية التأثير عليهم بتجميل المهنة في أعينهم بجعلها نعمة يخصّ الله بها من يشاء من عباده، فيأخذونها بحقها يؤكد ذلك قوله: "وليس أحدٌ من أهل الصناعاتِ كلِّها أحوجَ إلى استخراج خلالِ الخيرِ المحمودةِ وخصالِ الفضلِ المذكورةِ المعدودةِ منكم أيها الكتابُ". وهنا تظهر خاصية أسلوبية عند عبد الحميد وهي التركيز على الفكرة والإلحاح عليها لتعميقا في نفس المتلقي بما يضمن تأثيرها فيه.

النماذج الشكلية المصاحبة للأفعال الإنجازية:

يعتمد عبد الحميد على التدرج في خطابه فينقل المتلقي من تفصيل إلى تفصيل أشدّ عمقًا، فينتقل من الصفات العامة والعوامل البانية للكاتب إلى الصفات الخاصة والكفايات الأدائية التي يحتاجها الكاتب في المواقف التي تعرض له: "إن كنتم على ما سبقَ به الكتابُ من صفتِكم؛ فإن الكاتبَ يحتاجُ من نفسه ويحتاجُ منه صاحِبُهُ الذي يثق به في مهمات أمورِه إلى أن يكونَ حليمًا في موضع الحِلم، فقيهًا في موضع الحُكم، مقدامًا في موضع الإقدامِ، ومحجمًا في موضع الإحجام، ليّنًا في موضع اللين، شديدًا في موضع الشدةِ، مُؤثِرًا للعفاف والعدل والإنصافِ كتومًا للأسرارِ، وفيًّا عند الشدائدِ، عالمًا بما يأتي ويذرُ ويضعُ الأمورَ في مواضعِها، قد نظرَ في كل صِنفٍ من صنوف العلم فأحكمَه؛ فإن لم يحكمْهُ شدا منه شدوا يكتفي به، يكادُ يعرفُ بغزيرةِ عقلِه وحسنِ أدبِه وفضلِ تجرِبتِه ما يردُ عليه قبل ورودِه، وعاقبةَ ما يصدرُ عنه قبلَ صدورِه، فيُعِدّ لكلِّ أمرٍ عُدَّتَه ويهيئُ لكلِّ أمرٍ أُهْبَتَهُ"(٢).

(١) عباس، إحسان، عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص ٢٨٢.

(٢) السابق نفسه، ص ٢٨٢– ٢٨٣.

ولا يخفى أنّ "من أهم الوسائل الخطابية التي تتظافر في النّصّ أو الخطاب تحقيقًا لوظيفة التقوية تعيين الفعل الأدائي، والتكرار، والعلامات الرابطة، ووسائل ما وراء الخطاب"(١)، وقد عمد عبد الحميد هنا إلى تصميم نماذج شكلية تخدم الوظائف النفعية لخطابه، على النحو الآتي:

- أسلوب التوكيد: نحو قوله: "فإنّ الكاتب يحتاج"، و "قد نظر في كل صنف"، ويعدُّمن المقوِّيات الإنجازية:(٢). وقد جاء به لتعزيز كلامه أو تحقيقه.
- حشد الصفات التقريرية: حليمًا، فقيها، مقدامًا، محجمًا، ليّنًا، شديدًا، مؤثرًا...إلخ. وقد اعتمد اسم الفاعل والصفة المشبهة باسم الفاعل ليدلّ على وجوب ثبات هذه الصفات في الكاتب ولزومها عنده من جهة وعلى أنه الكافل لثبوتها بسعيه لها والارتقاء بنفسه في غمارها من جهة أخرى.
- التكرار: بما أن الخاصية الإلحاحية تخيم على الخطاب ببعديها حشد الدلالات المتقاربة وتكرار الألفاظ المتضمنة للدلالات المتماثلة يلحظ القارئ تكرار العبارات التي تحوي الدلالة عينها (الصفات نفسها) بتراكيب متنوعة، نحو قوله في المقدمة: "أهل الأدب والمروءة والحلم والرويّة"(٣) وقد عاد إلى صفة الحلم مثلا وكررها في النص السابق بقوله: "أن يكونَ حليما في موضع الحِلم"(٤).

وقوله: "وفيّا عند الشدائدِ"(٥) يكرره في موضع لاحق بشكل أدق تفصيلًا في قوله: "فقد علمتم أن الرجل قد يُصفي الرجل إذا صحبه في بدء أمره من وفائه وشكره"(٦).

- تخصيص كل فعل كلامي في مقامه: فنراه يحدّ الفعل الإنجازي في مقام وروده، إذ يقول: "أن يكونَ حليما في موضع الحِلم، فقيها في موضع الحُكم، مقدامًا في موضع الإقدامِ ومحجمًا في موضع الإحجام، لينا في موضع اللين، شديدا في موضع الشدةِ، موثرا للعفاف والعدل والإنصافِ كتوما للأسرارِ، وفيّا عند الشدائد"(٧) مع العلم أنه لا ينفي وجوب تحلي الكتّاب بهذه الصفات

(١) السابق نفسه، ص ٣٢٠.

(٢) وهي "الوسائل المعجمية التي تستخدم من أجل تقوية القوَّة الإنجازية للمنطوق بإثبات صحة القضية التي يعبِّر عنها أو توكيد صلاحيتها" العبد، محمد، النص والخطاب والإجراء، ص ٣١٧.

(٣) عباس، إحسان، عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص ٢٨١.

(٤) السابق نفسه، ص ٢٨٢.

(٥) السابق نفسه، ص ٢٨٢.

(٦) السابق نفسه، ص ٢٨٤.

(٧) السابق نفسه، ص ٢٨٢.

وإلزامهم بنجوزها في وظيفتهم بشكل عام، غير أنه يراها أكثر إلزامًا للإنجاز في مواضعها. فقيمة كل فعل ناجز تتحقق في مقام وروده والحاجة إليه، غير أنَّ بعض الأفعال عنده يقتضي أنجازها في كل وقت، ومنه قوله: "وابذلوا وفّقكم الله ذلك من أنفسكم في الرخاء والشدة، والإحسان والإساءة، والغضب والرضى، والسّرّاء والضّراء، والحرمان والمواساة"(١).

- التناوب الدلالي بين فئات الأفعال الكلاميَّة: فنجده وإن استعمل التقريريات هنا فكان ظاهر الكلام الإخبار والإفهام إلا أنه يقتضي في دلالته الإلزام، فقوله: "أن يكون حليمًا... فقيهًا" تحمل الحمولة الدلالية لـ " كن حليما، كن فقيها" وتحمل أيضا القوة الإنجازية عينها مع شيء من التلطُّف وصرف العقول لها بالملاينة لجعل المتلقي عند قراءتها (أو سماعها) يُدخل نفسه تلقائيًّا فيها، مع إرادة جعلها صفة قارّة في المتلقي ابتداءً فاستعمال المصدر المؤول يحوي دلالة: أن يكون= كَونه، التي تفيد هذه الدلالة، فـ "تنوع دلالة الأفعال اللغوية ليس محكومًا بشكلها اللغوي بل محكومًا بقصد المرسل بالدرجة الأولى من خلال المواءمة بين الشكل اللغوي المناسب وبين العناصر السياقية"(٢)، وقد صرح البلاغيون في كتبهم قديمًا بمسألة التناوب الوظيفي بين الجمل الخبرية والجمل الإنشائية، يقول السكاكي: "واعلم أن الطلب كثيرًا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر، وكذلك الخبر، فيذكر أحدهما في موضع الآخر، ولا يصار إلى ذلك إلا لتوخي نكت قلَّما يتفطن لها من لا يرجع إلى دُربة في نوعنا هذا، ولا يعضُّ فيه بضرس قاطع"(٣)، وهذا النكت– على حدّ تعبير السكّاكي– ما هو إلا الدلالة التي تتوخاها قصدية المتكلم.

الأفعال الكلامية الإلزامية:

يتدرج عبد الحميد في رسالته الموجهة من التعبير إلى التقرير إلى الإلزام، إذ إنه كلما أغرق في التفصيل وكلما خصّ الفئة الموجهة لها الرسالة "معشر الكتّاب" بدت الأفعال الإلزامية أوضح وأكثر مباشرة لتتناسب مع القوة الإنجازية المبتغاة من هذه الفئة، فاستعمل أفعال الكلام التوجيهية (الأمرية/ الإنفاذية)، في قوله: "فنافسوا معشرَ الكُتَّابِ في صُنُوف العلمِ والأدبِ، وتفقَّهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله – عزَّ وجلَّ – والفرائضِ، ثم العربيَّةِ فإنَّها ثِقَافُ ألسنتِكم، وأجيدوا الخطَّ فإنَّه حليةُ كتبِكم، وارْوُوا الأشعارَ واعْرِفوا غريبَها ومعانيَها، وأيَّامَ العربِ والعَجَمِ وأحاديثَها وسيَرَها؛ فإنَّ ذلك مُعِينٌ لكم

(١) عباس، إحسان، عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص٢٨٤.

(٢) الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، ص٧٨.

(٣) السكّاكيّ (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد، (١٩٨٧م)، مفتاح العلوم، ط٢، دار الكتب العلمية– بيروت، ص٣٢٣.

على ما تَسْمُون إليه بهِمَمِكُم، ولا يضعُفَنَّ نظرُكم في الحساب فإنه قِوَامُ كتَّابِ الخَرَاجِ منكم، وارغَبُوا بأنفسِكم عن المطامعِ سَنِيِّهَا ودَنِيِّهَا، ومساوِئِ الأمورِ ومَحَاقِرِها؛ فإنَّها مَذَلَّةٌ للرقاب، مَفْسَدَةٌ للكُتَّاب، ونزِّهوا صِنَاعَتَكم عن السِّعاية والنميمة وما فيه أهلُ الدناءةِ والجهالةِ، وإيَّاكم والْكِبْرّ والعظمةَ؛ فإنها عداوةٌ مُجْتَلَبَةٌ بغيرِ إِحْنَة، وتحابُّوا في الله – عز وجلَّ – في صناعتِكم، وتَوَاصَوْا عليها فإنها شيم أهل الفضلِ والنُّبْلِ من سَلَفِكم(١)".

آليات الإلزام:

١- الأمر المباشر: فالأفعال نافسوا، تفقهوا، ابدؤوا، أجيدوا، اروُوا، اعرفوا.. إلخ، كلها تحمل الدلالية الأمرية المباشرة لإنجاز أفعال متعلقة بها وبصيغة فعل الأمر (افعل)، وكذا الأفعال المضارعة التي تتضمن دلالة الأمر لاقترانها بلام الأمر: "فليرقب الله تعالى ذكره، وليؤثر طاعته فيه، وليكن على الضعيف رفيقا وللمظلوم منصفا، فإن الخلق عيال الله، وأحبّهم إليه أرفقهم على عياله"(٢). كل هذه الأفعال الموجهة والملزمة كان يتبعها بما يحضّ على تنفيذها والالتزام بها فأردفها بالعرضيات (الترويجيات) للتأثير بالمتلقي على النحو الآتي:

- تعلّم العربيَّةِ = ثِقَافُ ألسنتِكم (مقتضى وظيفي وثقافي)
- وأجيدوا الخطَّ = حليةُ كتبِكم (مقتضى وظيفي)
- وارْوُوا الأشعارَ واعْرِفوا غريبَها ومعانيَها، وأيَّامَ العربِ والعَجَمِ وأحاديثَها وسيَرَها= ذلك مُعِينٌ لكم على ما تَسْمُون إليه بهِمَمِكُم (مقتضى نفسي تربوي)
- تعلّم الحساب = قِوَامُ كتَّابِ الخَرَاجِ منكم (مقتضى وظيفي مخصص)
- والرغبة عن المطامعِ ومساوِئِ الأمورِ= لأنها مَذَلَّةٌ للرقاب، مَفْسَدَةٌ للكُتَّاب (مقتضى نفسي تربوي)
- الكف عن السِّعاية والنميمة والْكِبْرّ والعظمةَ = لأنها عداوةٌ مُجْتَلَبَةٌ بغيرِ إِحْنَة (مقتضى تربوي اجتماعي).

(١) عباس، إحسان، عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص ٢٨٣.

(٢) السابق نفسه، ص ٢٨٤– ٢٨٥.

وما هذه الأمثلة إلا نموذج من نماذج عدة قامت عليها رسالة عبد الحميد، ويلاحظ المستقرئ للرسالة أنه كلما كان الإلزام أوضح وأكثر مباشرة لطّفه عبد الحميد بترويج فضائله وثماره بأسلوب ترغيبي قائم على الحقائق والمنطق في غالبيته، ممازجا فيه بين العرض والإفهام والتذكير والترغيب أو الترهيب، وهو إذ يعزز التنفيذيات بالعرضيات يحسن اختيار العبارات التي تحمل دلالاتها، فهي في الغالب حقائق مسلَّم بها، فمثلاً: من الحقائق المسلم بها أن الخط الجميل حلية الكتب، وبأن الكِبر والعظمة والسعي بالنميمة مجلبة للعداوة، وهذا الاختيار أدعى للتأثير وتمكين القوة الإنجازية ورفع درجتها.

إن الطريقة التداولية في مثل هذه الحالات هي محاولة تفسير كلّ فكرة بتتبُّع أثر نتائجها العملية واقتفائها كلًّا على حدة"[١].

٢- النهي المباشر: وكان النهي أقل استعمالًا من الأمر في الرسالة، وقد استعمل معه الآلية السابقة التي استعملها مع الأمر المباشر من تعزيز نهيه بسرد نتائجه، نحو قوله: "ولا يقل أحد منكم إنه آدب وأعقل وأحمل لعبء التدبير والعمل من أخيه في صناعته، فإنّ أعقل الرجلين عند ذوي الألباب القائل إنّ صاحبه أعقل منه، وأحمقكم الذي يرى أنه أعقل من صاحبه، لِعُجب هذا بنفسه، ونبذ ذلك العجب وراء ظهره إذ كان الآفة العظمى من آفات عقله"[٢]، يرغب عنه بذكر نقيضه أو معقوله.

ولمّا أراد النهي ضاعف القوة الإنجازية للفعل الكلامي بتوكيده بنون التوكيد الثقيلة "ولا يضعُفَنَّ نظرُكم في الحساب"[٣] "ولا يجوزنّ الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه و...، قدر حقه"[٤]، "ولا يدعونّ الرجل منكم صنع الله تعالى وذكره..."[٥] إذ رأى الأمر يتطلب أن تحتوي العبارة الإنجازية على المقوِّيات الموجَّهة إلى المحتوى، وذلك لتغليظ النهي عن إنجازه.

٣- الإلزام بالشرط فهو يتضمن دلالة طلبية معلَّقة أي يعلّق إنجازه على فعل آخر ناجز "وإن نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتّى يرجع إليه حاله، ويثوب إليه أمره[٦]؛ وإن أقعد

(١) جيمس، وليم، (٢٠٠٨م)، البراجماتية، ترجمة محمد العريان، المركز القومي للترجمة- القاهرة، ص ٦٤.

(٢) عباس، إحسان، عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص٢٨٧.

(٣) السابق نفسه، ص٢٨٣.

(٤) السابق نفسه، ص٢٨٦.

(٥) السابق نفسه، ص٢٨٢.

(٦) السابق نفسه، ص٢٨٣.

أحدكم الكبر عن مكسبه ولقاء إخوانه، فزوروه وعظموه وشاوروه، وإن عرضت مذمّة فليحملها من دونه"(١).

٤- الطلب غير المباشر (الإنفاذيّات الضمنية): إنّ المتأمل في رسالة عبد الحميد وطريقته في طرح خطابه التوجيهي والآليات التي اتبعها في تكثيف الدلالة المحفّزة للمتلقي على الإذعان لمضامين توجيهاته من حشد دلالي تصاعدي يرسّخ أهمية خطابه ويؤكده في نفس المتلقي، يلحظ أنه قد استغلّ في ذلك كله الجمل الخبرية المحمّلة بدلالات منطقية أو عقائديّة أو حقائق، وقد كانت هذه الجمل هي أفعال الكلام بالقدر الذ قد يُظنّ أنها تخدم أفعال الكلام، ولا غرو فإنه وإن كان سيرل Searl "لايزال يرجع إلى العبارة الإنشائية كصورة معيارية أو ضابط معياري لكل قوة فعل كلامي"(٢)، إلا أنّ بعض الباحثين قد لحظ أنّنا نتواصل بالأفعال الإنجازية غير المباشرة أكثر من تواصلنا بالأفعال المباشرة(٣)، وقد أبرز البحث أمثلة عليه في أكثر من موضع من رسالة عبد الحميد، ومنه في النهي مثلًا قوله: "إيّاكم والكبر والعظمة فإنها عداوة مجتلبة بغير إحنة"(٤)، هو أسلوب تحذير بمعنى لا تتكبروا غير أنه يحمل دلالة إنجازية أقوى باجتناب الفعل من النهي، وقد عاضد عبد الحميد خطابه بالحقائق في غير موضع، فهو حين يرجع للتقريريات إنما يفعل ذلك لأنها كثيرا ما تتضمن حقيقة، وكأنه يوجّه المتلقي بالحقيقة التي تحمل درجة الإلزام نفسها التي تحملها الأمريات، نحو قوله: "فقد علمتم أن الرجل قد يصفي الرجل إذا صحبه في بدء أمره من وفائه وشكره"(٥)، ومفاد العبارة الزموا الوفاء والشكر مع أصحابكم ليثقوا بكم، غير أن الحمولة الإنجازية هنا فيها تخفيف على النفس بوصفها نصيحة لا فرض، فتجعل التزام إنجازها طوعيًّا محبّبًا إلى النفس، وبهذا يستقرّ لدينا" أنّ ثمة حالات تواكب فيها الجملة الواحدة قوتان إنجازيتان اثنتان: قوة إنجازية حرفية مدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وقوة إنجازية مستلزمة حواريًّا يقتضيها مقام التخاطب" (٦).

(١) السابق نفسه، ص ٢٨٣- ٢٨٤.

(٢) ليتش، جيوفري، مبادئ التداولية، ص ٢٣٢.

(٣) نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ٨٢.

(٤) عباس، إحسان، عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص ٢٨٢.

(٥) السابق نفسه، ص ٢٨٣.

(٦) المتوكّل، أحمد، (د.ت)، الوظيفة والبنية (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، منشورات عكاظ- الرباط، ص ١٠٢.

ومن ذلك الإلزام بالتّشبيه والمَثَل، وهما آليتان تعتمدان على فهم المتلقي إذ يستنبط المتلقي مما قيل ما يقصده المتكلم عن مستوى المعنى المعبر عنه إلى مستوى المعنى المفهوم ضمنًا، وهذا يدخل ضمن دائرة الإشاريات الّتي تعدّ "وحدات دلالية حقيقية"(١)، فالتشبيه قوله: "وإذا صحب أحدكم الرجل فليستشفّ خلائقه كما يستشفّ الثوب يشتريه لنفسه"(٢)، أراد بالفعل الإنجازي "فليستشف" لا مجرد الإنجاز بل إنجازه على طريقة معينة عبّر عنها بالتشبيه: "كما يستشفّ الثوب يشتريه لنفسه"(٣)، أمَّا استعماله المثل كاستراتيجية غير مباشرة في الفعل الإنجازي فهو يضرب المثل لتوجيه المتلقي لأساليب التعامل مع الصاحب في صرفه عن قبيح أخلاقه بسائس البهيمة، يقول: "فقد عرفتم أن سائس البهيمة إذا كان حاذقًا بسياستها التمس معرفة أخلاقها، فإن كانت رموحًا اتّقاها من قبل رجلها، وإن كانت جموحًا لم يَهِجْها إذا ركبها، وإذا كانت شموسًا توقّاها من ناحية يدها، وإن خاف منها عِضاضًا توقّاها من تلقاء رأسها، وإن كانت حَرونًا لم يُلاحِها بل تتبّع هواها في طريقها، وإن استمرّت عطَفَها فيسلس له قيادها، وفي هذا الوصف من سائس البهيمة ورفق سياسته دليل وأدب لمن ساس الناس وعاملهم وخدمهم وصحبهم، والكاتب بفضل أدبه وشرف صناعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره ويناظره ويفهم عنه ويخاف سطوته أولى بالرفق بصاحبه ومداراته، وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جوابًا، ولا تعرف خطأً ولا صوابًا، إلّا بقدر ما يصيّرها إليه سائسها أو صاحبها الراكب لها، فأدقّوا رحمكم الله في ذلك النظر، وأعملوا فيه الروية والفكر، تأمنوا ممن صحبتموهى- بإذن الله- النُّبوة والاستثقال والجفوة، ويصر منكم إلى الموافقة، وتصيروا منه إلى المواساة والشفقة، إن شاء الله"(٤)، وبقرن كل فعل إنجازي بحالة يسقط ما يجري بين السائس والدابة من أحوال ومواقف وأفعال لا تنجز فيعمد بحسن الحيلة لغيرها مما يراه السائس ناجعًا في تلك الحالة يسقطه كله على ذهن المتلقي بصورة حركية تبعث في نفسه الطاقة الإنجازية وتحرك ذهنه لتقبل الفعل الإنجازي وأدراك وسائل إنجازه المتعددة، فعبد الحميد لا ينفك عن صفته التربوية في رسالته الموجهة للكتَّاب، الأمر الذي يبشّر بنتائج مزهرة لمقاصده(٥).

(١) بارت وجينيت، رولان وجيرار، (٢٠٠١م)، من البنيوية إلى الشعرية، ترجمة غسان السيد، ط١، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع- دمشق، ص ٢٦.

(٢) عباس، إحسان، عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص ٢٨٤.

(٣)السابق نفسه، ص ٢٨٥.

(٤) عباس، إحسان، عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص ٢٨٥- ٢٨٦.

(٥) يعدّ المَثَل من أهم وسائل "لتقريب وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه صورة المثال الذي مثَّل به، فإنه قد يكون أقربَ إلى تَعقُّله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره؛ فإنَّ النفسَ تأنس بالنظائر والأشباه الأُنسَ التام، وتنفِرُ من الغُرْبة والوَحْدَة وعدم النظير؛ ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمرٌ لا يجحده أحد، ولا ينكره"، ابن القيم، إعلام الموقعين، ٢/ ٤٢٥.

يختم أيضًا بتلطيف العبارة في قوله: "فأدقّوا رحمكم الله في ذلك النظر، وأعملوا فيه الروية والفكر"[١] بالدعاء لهم ودعوتهم للتفكّر بكلامه، وهو بهذا يوجّه رسالة احترام لعقولهم وترك خيار التقبُّل والإنجاز لهم – مع أنه بحشده الدلالي في خطابه بشكل عام لا يدع للمتلقي أي فتور عن الأنجاز وحسن القبول– .

الالتزاميات:

ألزم نفسه بما نصح به الكتاب "وأنا أقول في آخر كتابي" من يلزم النصيحة يلزمه العمل، وهو جوهر هذا الكتاب وغرّة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وختمته به: "تولّانا الله وإياكم معشر الكتاب بما يتولّى من سبق عمله في إسعاده وإرشاده، فإنّ ذلك إليه وبيده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[٢].

فقد وجه الرسالة لنفسه أولاً قبل الكتّاب وينصح لنفسه حاثًّا نفسه على المداومة على هذا النهج. وفي هذا مدعاة لقبول المتلقي الرسالة التوجيهية ولا سيما أن المتكلم شمل نفسه مع المتلقي في الخطاب الموجّه وفي هذا جانب تربويّ عظيم، وهو مفاد قول أوستين بأنّ الاعتقاد بالكلام أدعى إلى قبوله ومن ثّمّ التأثُّر به إنجاز مضامينه، وعليه قول الشاعر:

ابدأْ بنفسِكَ وانْهَهَا عـن غَيِّهـا فإذا انتهَتْ عَنهُ فَأنتَ عَظيمُ

فهناك يُقبَلُ ما وَعظتَ ويُقتَدى بالعلمِ مِنكَ وينْفَعُ التَّعليمُ[٣]

الخاتمة:

بحسب مقاصد الخطاب وبحسب سياقات وروده تأتي الأساليب اللغوية التي تحقق مقاصده ضمن سياقاته، وبما أنّ الخطاب قائم في أساسه على اللغة إذ إنه في جوهره توليف لغويّ مقصود يتفاعل بوساطته أبناء اللغة وتبرز من خلاله السّمات الاجتماعية والمعرفية والثقافية التي ينزع إليها المتواصلون؛ لذا فإن أكثر ما يُركّز عليه في تحليل الخطاب هو الأسلوب والاستراتيجيات التوليفية بين مكونات الخطاب اللغوية واللالغوية– من قصد وسياق– للخروج بتراكيب مشبعة الدلالة– قد تكون فائضة الدلالة أحيانا–.

(١) عباس، إحسان، عبد الحميد الكاتب وما تبقى من رسائله، ص ٢٨٨.

(٢) السابق نفسه، ص ٢٨٨.

(٣) السُّكّريّ، أبو سعيد الحسن، ديوان أبي الأسود الدؤلي، ص ٤٠٤.

وفي الخطابات الموجّهة لا بدّ من الاتكاء على الأفعال الكلامية لتحقيق غايات الخطاب الناجزة، وتمكينها في نفس المتلقي مع ضرورة ترسيخها في نفسه معتقَدًا يوجِّه أفعاله التأثيريّة والتأثُّريّة.

وقد جاءت رسالة عبد الحميد نموذجًا رصينًا لبناء الخطاب التوجيهي- الإقناعي، ولعله حقّق مقاصده بصورة واضحة، وهذا أمر طبيعي لمن امتلك ناصية اللغة ولمن امتهن هذه المهنة وحاز أهليّة الانتماء إليها بل وخاض غمارها فتدارك هناته فيها وعثراته بوعي تامّ، فأخرج من قلب واعٍ وعقل مدرك هذه الوصايا بشكل مكثّف ساعده في ذلك مكنته الناتجة غن خبراته.

يكمن نجاح عبد الحميد في رسالته من القصدية التهييجية عنده والتي دفعته لإحداث انفعالات ثورية عنيفة في نفس المتلقي بالدرجة نفسها التي أحدث فيها انفعالات عاطفية كانت نابعة من قلبه، فجاءت الرسالة مرتكِزة على أفعال الكلام كونها الاستراتيجية الناجعة في الخطاب التوجيهي، وعليه يمكن أن نعدّ رسالته خطابًا حجاجيًّا[١] بامتياز، بأسلوب فنّيّ راعى فيه قواعد الانسجام النّصي، نحو: قاعدة التكرار التي تحقق غياب القطيعة وتحقق الاستمرارية، وقاعدة التدرُّج المتجانس الذي يكفل التوسّع في مدارج الخطاب بشكل يضمن اتصاله المنطقي والبنائي، مع حضور قاعدة قاعدة الاتساق اللفظي والدلالي والبعد عن التناقض.

أكدت رسالة عبد الحميد على كفايته اللغوية وكفايته المعرفية/ الثقافية، وكفايته النفسية/ الانفعالية في التأثير في المتلقي؛ فلا غرو إذن في أنه صار عميد الكتّاب بلا منازع، وبه يضرب المثل في هذه المهنة.

(١) الحجاج عند بيرلمان Perelman: "هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم"، الحباشة، صابر، (٢٠١١م)، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية (قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني)، ط١، دار صفحات للدراسات والنشر- سوريا، ص٢٩. و "الحجاج هو حاصل نصي عن توليف بين مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي"، شارود، باتريك، (٢٠٠٩م)، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة أحمد الودرني، ط١، دار الكتاب الجديد المتّحدة- بيروت، ص١٦.

المراجع

أوستن، جزن، (١٤١١هـ-١٩٩١م)، نظرية أفعال الكلام (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، ترجمة عبد القادر قنيني، دار توبقال- الدار البيضاء، ٢٥، والمبخوت، شكري، دائرة الأعمال اللغوية.

بارت وجينيت، رولان وجيرار، (١٤٢١هـ-٢٠٠١م)، من البنيوية إلى الشعرية، ترجمة غسان السيد، ط١، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع- دمشق.

بحيري، سعيد، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، علم النّص المفاهيم والاتجاهات، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة.

بحيري، سعيد، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، مبادئ ومسارات في الدرس اللغوي الحديث (فصول مختارة)، دار زهراء الشرق- القاهرة.

بلانشيه، فيليب، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م)، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع- اللاذقية/ سوريا.

الجودي، لطفي فكري محمد، (١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، جمالية الخطاب في النص القرآني (قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين)، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة.

جيمس، وليم، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م)، البراجماتية، ترجمة محمد العريان، المركز القومي للترجمة- القاهرة.

الحباشة، صابر، (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية (قراءة في شروح التلخيص للخطيب القزويني)، ط١، دار صفحات للدراسات والنشر- سوريا.

ديك، فان، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ترجمة عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق- الدار البيضاء.

روبول وموشلار، بول وجاك، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)، التداولية اليوم- علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة- دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت.

السكّاكيّ (٦٢٦هـ-١٢٢٨م)، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، مفتاح العلوم، ط٢، دار الكتب العلمية- بيروت.

السُّكّريّ (٢٧٥هـ-٨٨٨م)، أبو سعيد الحسن، (١٤١٨هـ -١٩٩٨م)، ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط٢، دار ومكتبة الهلال- بيروت.

شارود، باتريك، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ترجمة أحمد الودرني، ط١، دار الكتاب الجديد المتّحدة- بيروت.

الشهري، عبد الهادي ظافر، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م)، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ط١، دار الكتاب العربي- بيروت.

صحراوي، مسعود، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م)، التداولية عند علماء العرب (دراسة تداولية لأفعال الكلام في التراث اللساني العربي)، ط١، دار طليعة- بيروت.

الطبطبائي، طالب سيد هاشم، (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، نظرية الأفعال الكلامية (بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب)، مطبوعات جامعة الكويت- الكويت.

عباس، إحسان، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، عبد الحميد الكاتب- وما تبقى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع- عمان.

العبد، محمد، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م)، النص والخطاب والاتصال، ط١، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي- القاهرة.

عبد الحق، صالح إسماعيل، (١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت.

عبد الرحمن، طه، (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، اللسان والميزان - التكوثر العقلي، ط١، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء.

العسكريّ (٣٩٥هـ-١٠٠٥م)، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، الصناعتين، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- بيروت.

فتنغشتاين، لودفيك، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م)، تحقيقات فلسفية، ترجمة عبد الرّزّاق بنور، المنظمة العربية للترجمة- بيروت.

فضل، صلاح، (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، بلاغة الخطاب وعلم النّصّ، سلسلة عالم المعرفة- الكويت.

ابن القيم (٧٥١هـ-١٣٥٠م)، أبوعبد الله محمد بن أبي بكر، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، قدم له وعلّق عليه مشهور بن حسن وأحمد عبد الله، ط١، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- الرياض.

كليب، سامي، (١٤٣٨هـ-٢٠١٧م)، البراغماتية (القول فعلية) في تحليل أفعال الخطاب السياسي- خطاب ترامب والملك سليمان نموذجًا، ط١، دار الفارابي.

لي ليتش، جيوفري، (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، مبادئ التداولية، ط٥، ترجمة عبد القادر قنيني- أفريقيا الشرق- الدار البيضاء.

الماوردي (٤٥٠هـ-١٠٢٨م)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق محمد كريم راجح، ط٤، دار اقرأ- بيروت.

المبخوت، شكري، (١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، دائرة الأعمال اللغوية- مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديدة المتحدة- بيروت.

المتوكّل، أحمد، (د.ت)، الوظيفة والبنية (مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية)، منشورات عكاظ- الرباط.

نحلة، محمود أحمد، (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.

ياكبسون، رومان، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنوز، ط١، دار توبقال- الدار البيضاء.